

الشعر الحر

هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه .

فأساس الوزن في الشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة والمعنى البسيط الواضح و الحرية في تنويع عدد التفعيلات أو أطوال الأسطر تشترط بدءاً أن تكون التفعيلات في الأسطر متشابهة تمام التشابه ، فينظم الشاعر من البحر ذي التفعيلة الواحدة المكررة

لذلك نرى أن الشعر الحر يجري وفق القواعد العروضية للقصيدة العربية ، ويلتزم بها ، ولا يخرج عنها إلا من حيث الشكل ، والتحرر من القافية الواحدة في أغلب الأحيان . فالوزن العروضي موجود والتفعيلة ثابتة مع اختلاف في الشكل الخارجي ليس غير ، فإذا أراد الشاعر أن ينسج قصيدة ما على بحر معين وليكن " الرمل " مثلاً استوجب عليه أن يلتزم في قصيدته بهذا البحر وتفعيلاته من مطلعها إلى منتهاها وليس له من الحرية سوى عدم التقيد بنظام البيت التقليدي والقافية الموحدة . وإن كان الأمر لا يمنع من ظهور القافية واختفائها من حين لآخر حسب ما تقتضيه النغمة الموسيقية وانتهاء الدفقة الشعورية .

و يُعدُّ ظهور الشعر الحر تغيراً حاسماً في تاريخ الشعر العربي؛ كونه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمحتوى البناء الموسيقي، وأنماط التعبير الفكرية والإبداعية، فقد كان بدايته في العراق، على يد نازك الملائكة في قصيدة الكوليرا المنشورة في 1947 في تشرين الثاني، وكذلك قصيدة (هل كان حُباً) للشاعر بدر شاكر السياب، وعلى الرغم من أن بدر شاكر السياب استغرق وقتاً في كتابته

لديوانه” أزهار ذابلة ” إلا أن نازك الملائكة تؤكد أحقيتها لريادة هذا النوع من الشعر

خصائص الشعر الحر

• يعتمد على التفعيلة وحدة للوزن الموسيقي، ولكنه لا يتقيد بعدد ثابت من التفعيلات في أبيات القصيدة بامتلاكه إيقاعا موسيقيا واحداً، أي أنه يلتزم بتفعيلة واحدة ويلتزم بعدد من القوافي حتى يتم الحد من حدة الإيقاع الواحد، ولدفع الملل أو السأم الذي يلحق بالسامع أو القارئ يتم استخدام المحسنات البديعية فيه بقلّة، فضلا عن قلّة استخدام المقاطع الساكنة أيضاً

• ويتم توظيف لغة الحياة اليومية، لذلك فهو خالي من المظاهر التي توحى بالمبالغة والفخامة سواء من ناحية الثقافة أو الفكر.

• يتميز بوجود المقاطع الساكنة في أواخره في معظم الأحيان، أما في بقية المقاطع الموجودة في القصيدة ففي العادة تكون خالية من التسكين.

• يتم توظيف الأساطير والرموز الدينية والفلسفة في الشعر الحر.

• لا يتم اختزال قصائده بسرعة أو ببساطة، حيث أن حذف بعض الأبيات أو المقاطع من القصيدة يؤثر بشكل كامل على معنى الشعر بأكمله النسيج الكلي من حيث المعنى ومن الناحية الشكلية والفنية.

- استعمال الصّور الشعريّة التي تعمق التّأثر بالفكرة التي يطرحها الشّاعر.

قصيدة أنشودة المطر

الشاعر بدر شاكر السياب
عيناك غابتا نخيل ساعة السحر،
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر.
عيناك حين تبسمان تورق الكروم.
وترقص الأضواء... كالأقمار في نهر
يرجّه المجداف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما، النجوم...
وتغرقان في ضباب من أسى شفيف
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء،
دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف،
والموت، والميلاد، والظلام، والضياء؛

فتستفيق ملء روعي، رعشة البكاء
ونشوة وحشية تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر!
كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرة فقطرةً تذوب في المطر...
وكركر الأطفال في عرائش الكروم،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودة المطر...

مطر...

مطر...

مطر...

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر...
وكركر الأطفال في عرائش الكروم،

ودغدغت صمتَ العصافير على الشجر

أنشودةُ المطر

مطرٌ ... مطرٌ ... مطرٌ ...

شرح أنشودة المطر

اتخذ بدر شاكر السيّاب من المطر رمزاً
تصويرياً يحمل الكثير من العمق الذي يتحمّل
به كلّ المشاق والشوائب النفسيّة وجملّة
المعاني الإنسانيّة التي تغورُ في النفس
يبدأ الشاعر بالحديث عن امرأة قد تكون
البصرة أو جيكور أو العراق أو امرأة يقصدها
، مشبهاً عينيها بغابتي نخيل هجم عليهما الليل
، ولم يكتف بهذا التشبيه ، بل أردف يشبهما
بشرفتين راح القمر ينسحب عنهما ، فيتركهما
غارقتين في سواد الليل ، ويدعي أن هاتين
العينين عندما تلمعان أو تبتسمان ، فإن الشجر
العادي يكتسب خضرة ، وتتراقص الأضواء

تشبه الأقمار تنعكس على صفحة نهر ينساب
فيه زورق يجذف صاحبه برفق وسط الليل ،
وكان النجوم تخفق في محجري عينها .
وهاتان العينان غارقتان في حزن واضح .
حزنها يشبه حزن البحر حين يغمره المساء .
وهذا البحر - العينان - يحوي متناقضات دفء
الشتاء - ذبول الخريف - وصور الموت
والميلاد والعتمة والضياء ، فالمرأة تأخذ بُعدين
في القصيدة، الأول: المرأة الحبيبة، والثاني:
المرأة الأم. وكلتاها حلم يراود الشاعر على
أنغام المطر. فتارة هو الحلم العميق للأم، أو
المترف الجمال:

كل هذه الصور - تبعث في نفس الشاعر شعوراً
بضرورة البكاء ، و شعوراً آخر بالنشوة
العاتية التي ترتفع روحه من خلالها إلى عناق
السماء ، وهذه النشوة شبيهة بنشوة الطفل
عندما يبعث فيه القمر خوفاً غامضاً ، وهو في
هذه الأثناء يستشعر أمراً غريباً يتمثل في أن

السحب تبتلع الغيوم المحملة بالمطر وتذوب فيها .

والشاعر في هذه اللحظة - المباشرة بنزول المطر - يستشعر مع أطفال بلاده فرحتهم وسط كروم العنب استبشاراً بسقوط المطر ، كما يستشعر أن صغار العصافير قد أحست كما الأطفال باللحظة ، وتمنت معهم أن يكون نزول المطر وشيكاً ، بل وهتفت معهم مطر ! أملاً واستبشاراً بقدومه .

نلاحظ أن كلمة المطر تكررت مرات عدة في القصيدة وهي توحى بسقوط المطر المتواصل، فالتكرار ركيزة بنائية في الشعر الحر وقد جاء التكرار في عدة مستويات مست القصيدة من حيث الألفاظ ونسجل ذلك في تكرار كلمة "مطر" وتكرار بعض الحروف كحرف الميم عدة مرات، وهو يدل على الأحاسيس التي تتعلق "بالشفتين لدى انطباقهما على بعضهما بعضاً" فالشاعر يبعث قصيدته للدلالة على

الألم والغربة النفسية المحيط به وعن إيقاع
حزين يرافق فعل الحنين.

سنعتمد في تقسيمنا للقصيدة على اللازمة "
مطر .. مطر .. مطر "، التي تفرض علينا
إيقاع معين لأنها تتكرر، ومنه لدينا تسعة
أجزاء في هذه القصيدة.

□ الجزء الأول: من البيت 1 إلى البيت 21 :

الشاعر في بداية قصيدته يخاطب صاحبة
العينين (عيناك)، و الشاعر يبتهل، حيث تبدأ
القصيدة بابتهالات، من البيت الأول إلى البيت
العاشر فـ "عيناك" = (غابتا نخيل ساعة
السحر + شرفتان راح يناى عنهما القمر +
حين تبسمان تورق الكروم + ترقص الأضواء
كالأقمار ... في نهر + يرجه المجذاف وهنا
ساعة السحر + كأنما تتبض في غوريهما
النجوم + تغرقان في ضباب من أسى شفيف +
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء + دفء
الشتاء فيه و ارتعاشة الخريف + والموت
والميلاد والظلام والضياء). فهنا تتحرك

العناصر الطبيعية المختلفة وهي حركة أشد عمقا من التحولات الخارجية، إنها تحولات داخلية، فـ (عيناك) هي الفصول في تحولاتها، هي الحياة والموت ومختلف عناصر الطبيعة.

ثم يتحول الضمير إلى المتكلم لأول مرة وذلك في البيت 11 (فتستفيق ملء روعي رعشة البكاء)، وعبر عنه الشاعر بالإضافة إلى الروح بنزعة غرائزية عنيفة وهي نشوة وحشية، ليختم هذا الجزء بكلمة مطر .. مطر .. التي ترمز للغناء فالشاعر يعجز عن تفسير النشوة الوحشية في ذاته إذ يحاول أن يفسرها بنشوة الطفل إذا خاف من القمر، وهو في الحقيقة لا يفسر بقدر ما يحس بغموض الإحساس بالنشوة يزداد عمقاً في ذاته ، وفجأة يصحو ويهرب من المرأة، وما قادت إليه من إحساس بالوجود وتناقضه، لتبدأ الحركة الأولى في (متن) سيمفونية المطر

بعد هذه المقدمة تهيأت نفسية المتلقي
للإيقاع القادم، ولذلك لا يحس بفجوة الانتقال
إلى :

كأنَّ أقواسَ السحابِ تشربُ الغيومَ
وقطرةً فقطرةً تذوبُ في المطرِ ...
وكركر الأطفالُ في عرائشِ الكرومِ،
ودغدغتْ صمتَ العصافيرِ على الشجرِ
أنشودةُ المطرِ

مطرٌ ... مطرٌ ... مطرٌ ...

يلتقط الشاعر أنفاسه بعد هذا المقطع، ويسرّح
بصره في الأفق من خلال نافذة (مادية أو
معنوية - لا فرق)، وإذ يستعيد حلمه القديم
بالمرأة / الأم هذه المرة، يبدأ في عزف النغمة
التالية، منطلقاً من الوجود العام إلى الوجود
الخاص، من تتأوب المساء ودمع الغيوم، إلى
حلم الطفولة، إلى الأم، محققاً نجاحاً آخر في
العبور من الهم العام إلى الهم الخاص، من

حزن الطبيعة إلى حزنه هو، مازجاً بذلك بين
ذاته والطبيعة، متوحداً معها.